الاتفاق والاختلاف بين بيعة النساء والرجال

فاطمة صالح الجارد

■ بعد أن من الله علي بالفوز بجائزة نايف بن عبدالعزيز العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة حفزني هذا الفوز لأن اكتب في موضوع آخر وهو عناية السنة النبوية بحقوق المرأة، وكان هذا الموضوع يراودني منذ سنوات، فوجدت عرض الجائزة لهذا الموضوع فرصة للكتابة فيه، وأن من أعجب الصدف انه في الأيام التي تمت فيها بيعة خادم الحرمين الشريفين كنت قد شرعت في مسألة البيعة، مما زادني الحماس للتعمق في الموضوع أكثر حتى أبين ما اختلط على النساء في هذا الأمر، وانني اكتب إليكم الآن في هذا الموضوع وأنا اعترف للصحافة وللقراء بالتأخر ولكن أرجو التماس العذر وذلك بسبب تزاحم الأعمال، فإنني أبدأ بهذا الموضوع بالمبايعة لولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين وانني اؤكدها وأقول أننا نبايعك ثم نبايعك، ثم نبايعك. ولست أقولها والله نفاقاً ولا رياء ولست طالبة منصباً ولا مالاً، فلست بحاجة لا إلى هذا ولا إلى ذاك، ولكنني بأمس الحاجة إلى الفوز (بقدم صدق عند مليك مقتدر) حتى تكون هذه الكلمات شاهدة لي ولمن ساهم في نشرها (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) أقولها لأن الأعداء تتربص بنا الدوائر، وتتلمس الشقاق والخلاف وتتمناه، ولكننا نقول (عليهم دائرة السوء).

أقول لقد من الله علي أن قمت بدراسة مستفيضة وحاولت ما استطعت ان تكون دقيقة لأحاديث البيعة جميعها التي تخص النساء ثم قارنتها بالأحاديث التي تخص بيعة الرجال، ووجدت أن هناك فرقاً بين بيعة النساء وبيعة الرجال، وذلك بكل حسب مناطه ومسؤوليته في المجتمع، فهذه الدراسة تفند ادعاءات المطالبون بالمساواة بين الرجل والمرأة، فهؤلاء في الحقيقة، غلاف دعواهم مناصرة المرأة، وفي مكنونها خطر عظيم يهدد كيان المرأة وينقلها من الصون والعفاف والشرف والعز والكرامة إلى شاطئ الذل والهوان فمطالبتهم بنزع الحجاب، ومساواة المرأة بالرجل واختلاط النساء بالرجال أهداف تحقق غاية دنيئة عظيمة وهي الإباحية التي وصلت إليها المرأة الغربية. أقول لقد توصلت بفضل من الله ونعمه إلى النتائج الآتية:

أولاً: الأمور التي تتساوى المرأة مع الرجل في أمر البيعة.

١- الأصل في مشروعيتها: تشترك النساء مع الرجال في مشروعية البيعة كما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة الصحابيات له. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله عز وجل: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين﴾ إلى آخر الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن: ﴿انطلقن فقد بايعتكن﴾ ففي حضور النساء لبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على مشروعية بيعتهن، وقد خصص البخاري والنسائي والترمذي باباً لبيعة النساء..

٢- الاجتماع للبيعة: وهذا ما دل عليه ألفاظ الحديث السابق، وعن أم عطية قالت: لما قدم رسول الله المدينة، جمع نساء الأنصار في بيت، فأرسل إلينا عمر بن الخطاب، فقام على الباب، فسلم علينا، فرددنا عليه السلام، ثم قال: أنا رسول رسول الله إليكن. قالت: فقلنا مرحباً برسول الله، وبرسول رسول الله. فقال: ﴿تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تزنين ولا تسرقن.. الآية؟﴾ واجتماع النساء للبيعة قد حصل مثله للرجال. عن عبادة بن الصامت قال: ﴿دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه﴾.

٣- تكرار أمر البيعة: فقد تكرر أمر البيعة عند كل من الرجال والنساء فعند الرجال كانت في مواضع متنوعة وهي البيعات الثلاث المعروفة بيعة العقبة الأولى والثانية وبيعة الرضوان. قال ابن حجر: فهناك ثلاث بيعات: بيعة العقبة وكانت قبل أن يفرض الحرب، والثانية بيعة الحرب وسيأتي في الجهاد انها كانت على عدم الفرار، والثالثة بيعة النساء أي: التي وقعت على نظير بيعة النساء.

وعند النساء تكررت البيعة ثلاث مرات كما ثبت ذلك في الروايات: فالأولى بيعة النساء المهاجرات: كما في حديث عائشة السابق. والثانية: بيعة نساء الأنصار كما في حديث أم عطية في قولها جمع نساء الأنصار، والثالثة: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: «شهدت الفطر مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يصلونها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد. خرج النبي صلى الله عليه وسلم كأني انظر إليه حين يجلس بيده. ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء معه بلال فقال: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾. ثم قال حين فرغ منها: آنتن على ذلك؟ قالت امرأة واحدة منهن - لم يجبه غيرها -: نعم. لا يدري حسن من هي قال الثعالبي: أعاد الآية على من لم يبايعه من أهل مكة، لقرب عهدهم بالإسلام، والله أعلم.

ثانياً: الأمور التي اختلفت فيها المرأة عن الرجل في أمر البيعة:

١- الاختلاف في الكيفية: مبايعة النساء بالكلام فقط أما مبايعة الرجال فهي بالكلام والمصافحة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ قالت: وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها. وعن أميمة بنت رقيقة انها قالت: قلنا: الله ورسوله أرحم بنا هلم نبايعك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة»، فهذه الأحاديث دليل على تحريم مصافحة الرجال للنساء، قال الشنقيطي: وكونه صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء وقت البيعة دليل واضح على أن الرجل لا يصافح المرأة، ولا يمس شيء من بدنه شيئاً من بدنها، لأن أخف أنواع اللمس المصافحة، فإذا امتنع منها صلى الله عليه وسلم الذي يقتضيها وهو وقت المبايعة، دل ذلك على انها لا تجوز، وليس لأحد مخالفته صلى الله عليه وسلم، لأنه هو المشرع لأمته بأقواله وأفعاله وتقريره، وقال النووي: فيه أن بيعة النساء بالكلام من غير أخذ كف. وفيه أن بيعة الرجال بأخذ الكف مع الكلام. وفيه أن كلام الأجنبية يباح سماعه عند الحاجة وأن صوتها ليس بعورة، وأنه لا يلمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة.

٢- ان بيعة النساء جاءت بعد بيعة الرجال.

عن معتمر بن سليمان، عن أبيه قال: وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال قال: ثم دعا النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وعمر أسفل منه، يبايع النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً»، وقال ابن حيان: كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفاء، بعد ما فرغ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه، قال الخضيري: هذا، ولما تمت بيعة الرجال بايعه النساء.

وفي هذا التقديم أفضلية الرجال على النساء وقوامتهم عليهن.

٣- الاختلاف في المضمون.

اختلف مضمون بيعة النساء على بيعة الرجال، فقد كانت بيعة النساء كما بينتها الأحاديث السابقة وتبينها اللاحقة فهناك أمور اشترك فيها الرجال مع النساء وهناك أمور اختص بها الرجال دون النساء وهناك أمور اختص بها النساء دون الرجال.

٣- ان النساء أتى إليهن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأخرى أرسل إليهن عمر وكذلك في البيعة الثالثة أتى إليهن في مكانهن في المسجد، بينما الرجال دعاهم كما في الحديث دعانا رسول الله فبايعناه.

٣- ان اجتماع النساء في بيت وفي المسجد كما في الحديث: جمع نساء الأنصار في بيت بينما الرجال لم يكن لهم مكان محدد.

وهذان الأمران الأخيران دليلان على أن المرأة بطبيعتها وفتنتها انها تكون في مكان لا يراها الرجال فهن لم يأتين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما الحال في الرجال كما أن اجتماعهن في بيت وفي المسجد يؤكد ما قلناه.

ثالثاً: الأمور المشتركة بين الرجال والنساء في البيعة

هي: ١- عدم الإشراك بالله، ٢- عدم السرقة، ٣- عدم قتل الأولاد، ٤- عدم الاتيان ببهتان، ٥- عدم المعصية في المعروف أي في كل أمر هو طاعة لله وإحسان إلى الناس، وكل ما أمر به الشرع ونهى عنه، والمعروف ما عرف حسنه من قبل الشرع.

وهذه أمور مشتركة بايع عليها الرسول صلى الله عليه وسلم النساء، وردت في آية البيعة السابقة الذكر كما بايع عليها الرجال. عن عبادة بن الصامت، قال: «أخذ علينا رسول الله كما أخذ على النساء ان لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق، ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا يعضه بعضنا بعضاً»، الحديث. وفي لفظ النسائي: قال: ألا تبايعوني على ما بايع عليه النساء. قال ابن حجر: ظاهره أن هذه البيعة على هذه الكيفية كانت ليلة العقبة، وليس كذلك، وإنما كانت البيعة ليلة العقبة على المنشط والمكره في العسر واليسر إلى أخره وأما البيعة المذكورة هنا وهي التي تسمى بيعة النساء، فكانت بعد ذلك بمدة.

٥- البيعة على النصرة والمنعة: كما في حديث جابر «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة». فقمنا نبايعه فأخذ. وهذه الامور بويع عليها الرجال والنساء. والمرأة تستطيع ان تنصر دين الله بالدعوة اليه عن طريق القول باللسان او الكتابة في الصحف والمجلات. كما تستطيع نصرة دين الله بتربية ابنائها عليه.

رابعاً: امور اختص بها الرجال عن النساء

١- البيعة على الإسلام: عن جرير رضي الله عنه يقول: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم»، ولقوله صلى الله عليه وسلم لضماد: ﴿هات يدك أبايعك على الإسلام﴾ فبايعه.

٢- الصبر: ويدخل في الصبر امور كثيرة منها الجهاد، وعدم الفرار منه. قال العلماء: البيعة على الصبر تجمع المعاني كلها وتبين مقصود كل الروايات، فالبيعة على ان لا نفر معناه الصبر حتى نظفر بعدونا او نقتل وهو معنى البيعة على الموت اي نصبر وان آل بنا ذلك الى الموت لا ان الموت مقصود في نفسه، وكذا البيعة على الجهاد اي والصبر فيه والله اعلم. عن مجاشع رضي الله عنه قال: «اتيت النبي صلى الله عليه وسلم انا واخي فقلت: بايعنا على الهجرة، فقال: مضت الهجرة لاهلها. فقلت: علام تبايعنا؟ قال: «على الإسلام والجهاد»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله. فسألنا نافعاً: على اي شيء بايعهم، على الموت؟ قال: لا، بل بايعهم على الصبر». عن جابر، قال: «لم نبايع رسول الله على الموت. انما بايعناه على ان لا نفر»، وهذه الامور خاصة بالرجال لان الجهاد لم يفرض على النساء وليس بوسعهن ذلك فلا يطقنه لذا اكتفى بجعل الحج جهاداً لهن بقوله صلى الله عليه وسلم: «جهادكن الحج».

٣- الهجرة: كما في حديث مجاشع السابق: فقال: «اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بأخي بعد الفتح، فقلت: يارسول الله، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة. قال: ذهب اهل الهجرة بما فيها. فقلت على اي شيء تبايعه؟ قال: ابايعه على الإسلام والايمان والجهاد». والهجرة يشترك فيها النساء مع الرجال كما في الهجرة من مكة الى المدينة ، وعن اسماء رضي الله عنها «انها هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهي حبلى». وكذلك الهجرة من ديار الكفر الى ديار الإسلام للإسلام. عن الزهري وعبدالله بن ابي بكر قالا: «هاجرت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط الى رسول الله عام الحديبية، فجاء اخواها الوليد وفلان ابنا عقبة الى رسول الله يطلبانها، فأبى ان يردها عليهما، ولكنها لم تكن من الامور التي بايع عليها النساء.

٤- عدم قتل النفس الا بالحق، وعدم النهب: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال: «ان من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بايعناه على ان لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل النفس التي حرم الله الا بالحق، ولا ننتهب، ولا نقضي بالجنة ان فعلنا ذلك، فإن غشينا من ذلك شيئاً كان قضاء ذلك الى الله».

فهذه الاحاديث بينت الامور التي بايع عليها الرجال الرسول صلى الله عليه وسلم وهي البيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، والا ينازعوا الامر اهله وعلى نصرته والذب عنه، وعلى الجهاد والصبر، وعدم قتل النفس التي حرم الله، والا ينهبوا، وعدم الفرار ولو وقع الموت.

فجميع هذه الامور لم يبايع عليها النساء لان مسؤولية المرأة في المجتمع اضيق من مسؤولية الرجل، وهذا من الادلة على عدم مساواة المرأة بالرجل في الامور السياسية ويؤيد ذلك ما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم الى ان اولى مسؤولية المرأة في حدود بيتها عندما نبه الى رعاية البيت وجه الخطاب الى المرأة فقال: والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ومسؤولة عنهم.

٥- عدم منازعة الامر اهله. كما في حديث عبادة.. وان لا ننازع الامر اهله.

٦- النفقة في اليسر والعسر. كما في حديث جابر السابق، وعلى النفقة في العسر واليسر.

٧- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما في حديث جابر السابق: وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- السمع والطاعة: وعن عبادة بن الصامت قال: دعانا رسول الله فبايعناه. فكان فيما اخذ علينا، ان بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، واثره علينا. وان لا ننازع الامر اهله. قال: «الا ان تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان». وعن عبدالله بن عمر، يقول: كنا نبايع رسول الله على السمع والطاعة. يقول لنا: «فيما استطعت». وهي ان كانت تدخل في الصبر فهي من الاصول التي يجب ابرازها.

وقد وردت الامور الثلاثة الأخيرة في الخطاب الموجه للرجال والنساء لوجود امرأتين في البيعة ففي رواية ان عددهم ثلاثة وسبعون قال ابن اسحاق: فجميع من شهد العقبة من الاوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان.

واردناها للامور الخاصة بالرجال لوقوعها في غير هذا الموضع لخطاب الرجال كما ان الخطاب للاغلب وهم الرجال. كما ان هذه الرواية التي فيها ذكر المرأتين لم ترد في كتب الحديث. قال الشافعي رحمه الله: اما بيعة النساء فلم يشترط فيها السمع والطاعة، لانهن ليس عليهن جهاد كافر، ولا باغ، وانما كانت بيعتهن على الإسلام وحدوده.

خامساً: الامور التي اختص بها النساء.

١- عدم اختلاف المضمون عند تكرار البيعة.

بينما اختلف المضمون حين تكرارها للرجال، وهذا يؤكد حدود مسؤولية المرأة. عن عائشة، قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النبي، فأخذ عليها ان ﴿ولا يسرقن، ولا يزنين﴾. الآية قالت: فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجب النبي ما رأى منها، فقالت لها عائشة: قري أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا رسول الله، الا على هذا فبايعها بالآية.

٣- تناسب المضمون مع رسالة المرأة وطبيعتها: فمضمون بيعة الرجال مختلف عن مضمون بيعة النساء فكل جنس خوطب بحسب مسؤوليته في المجتمع، وحسب فطرته التي فطر الله عليها، وهذه الامور هي:

أ- عدم غش الازواج ففي رواية زاد احمد قال: «ولا تغششن ازواجكن، قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي، فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماغش ازواجنا؟ قالت: فسألته؟ قال: «تأخذ ماله فتحابي به غيره».

عن فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبدشمس ان ابا حذيفة بن عتبة رضي الله عنه أتى بها وهند بنت عتبة عند رسول الله تبايعه فقالت: اخذ علينا فشرط علينا قالت: قلت له: يا ابن عم هل علمت في قومك من هذه العاهات او الهنات شيئاً؟ قال ابو حذيفة: ايها فبايعيه فإن بهذا يبايع وهكذا يشترط، فقالت هند: لا ابايعك على سرقة اني اسرق من مال زوجي، فكف النبي يده وكفت يدها حتى ارسل الى ابي سفيان فتحلل لها منه، فقال ابوسفيان: اما الرطب فنعم واما اليابس فلا ولانعمة، قالت: فبايعناه، ثم قالت فاطمة: ما كانت قبة ابغض الى من قبتك، ولا احب ان يبيحها الله وما فيها، والله ما من قبة احب الي ان يعمرها الله ويبارك فيها من قبتك. فقال رسول الله: «وايضاً والله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده».

ب- عدم النوح: لانه من اعمالهن عن ام عطية، قالت «اخذ علينا رسول الله في البيعة، الا ننوح».

ج- الا يحدثن الرجال الا من كان محرماً: عن قتادة ﴿يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ حتى بلغ فبايعهن ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم اخذ عليهن يومئذ النياحة، «ولا تحدثن الرجال، الا رجلاً منكن محرماً»، فقال عبدالرحمن بن عوف: يانبي الله ان لنا اضيافا، وانا نغيب عن نسائنا قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس اولئك عنيت».

د- ان بيعة النساء ليست واجبة. تختلف بيعة المرأة عن بيعة الرجل في انها لا تكون مبايعة تستحق النساء من خلالها حق التولية والعزل؛ اذ التولية والعزل من حقوق الرجال وواجباتهم فقد كانت بيعة النساء على اقامة الدين واحكامه وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في آية الممتحنة السابقة وفي بعض الاحاديث التي بيناها قال المهدي: «اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط عليهن هذا والامر بذلك ندب لا الزام، نقل ذلك القرطبي - رحمه الله تعالى. قال الامام ابن حبان: ذكر ما يستحب للامام اخذ البيعة من نساء رعيته على نفسه اذا احب ذلك ثم ذكر حديث اميمة بنت رقيقة السابق، فقوله تعالى: - ﴿إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ اي: اذا جئن للبيعة فبايعهن، فقوله اذا تفيد التراخي لا تفيد الوجوب لاكتفاء النساء في عهد الخلفاء الراشدين ببيعة الرجال ولم يثبت في سيرة الخلفاء الراشدين اشتراك المرأة في بيعتهم، ولا في بيعة من جاء بعدهم مع وفرة الدواعي التي تؤيد مشاركة المرأة وانتفاء الموانع في ذلك الوقت حين بلغت المرأة شأواً عظيماً برفع الإسلام لمكانتها حيث قال عمر بن الخطاب «كنا في الجاهلية لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في شيء من امورنا، فلما جاء الله بالإسلام انزلهن الله حيث انزلهن، وجعل لهن حقاً من غير ان يدخلهن في شيء من امورنا، فيكون عدم مشاركتهن اجماعاً من الصحابة ومن بعدهم من المسلمين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «فعليكم بسنتني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجد، الا انه قد روي ان عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: المكلف باختيار الخليفة الثالث قد استطلع رأي النساء - الا ان بعض العلماء يرى ان هذه الرواية شاذة، وجعلها محل نظر -.

قال الامام محمد ابوزهر: «مانوع هذه البيعة؟ - يعني البيعة الواردة في الآية - اهي مبايعة على الولاية؟ كلا كان يبايعهن على الا يشركن بالله ولا يزنين ولا يأتين بفاحشة، فهي معاهدة على القيم الدينية، وليست معاهدة على الولاية بأية صورة من الصور.

قلت: فهذه الاحكام خاصة بنفسها وأسرتها، لا يقوم عليها مجتمع او تؤسس عليها ولاية. بينما بيعة الرجال على امور عامة لقيام الولاية العامة.

وبعد هذه النتائج ولله الحمد، نسأل مطالبي مساواة الرجل بالحقوق السياسية، هل تطالبون المساواة وتبطلون هذه الآيات الكريمة وهذه الاحاديث الصحيحة؟

مجلس الأمن الوطني نقلة نوعية في صناعة القرار

د. صالح بن محمد الختلان❖

■ إن موافقة خادم الحرمين الشريفين على نظام مجلس الأمن الوطني الجديد وتعيين الأمير بندر بن سلطان أميناً عاماً له يعد نقلة نوعية في عملية صناعة القرار في المملكة، كما أن توقيت الموافقة يعكس إدراكاً واعياً بطبيعة المرحلة وما تواجهه المملكة من تحديات في الداخل والخارج تتطلب قرارات استراتيجية لا تتحقق دون تعبئة الموارد والتنسيق بين القطاعات المختلفة. ومن خلال ما رشح عن مجلس الأمن الوطني بعد تحديث نظامه يظهر أن دور المجلس لن يختلف عن الوظائف التقليدية لمجالس الأمن القومية التي أصبحت إحدى سمات صناعة القرار في الكثير من الدول. هذه المجالس تعنى بالتخطيط للقضايا الخارجية والداخلية ذات الطابع الاستراتيجي ولها مساس مباشر بالمصالح العليا للدولة وتمثل جهات استشارية تساعد صناع القرار في التعامل مع القضايا الكبرى.

كما أن من أبرز وظائف المجلس التنسيق بين مختلف الأجهزة الحكومية لجعل برامجها وسياساتها في تواؤم وانسجام مع هذه المصالح وهو ما قد لا يتحقق أحياناً في حال التحرك الفردي خاصة في ظل البيئة المحلية والدولية الراهنة. إن الدور التنسيقي للمجلس يصبح أكثر وضوحاً حين نعي ما أحدثته العولمة من تداخل البعدين الداخلي والخارجي وتقلص مفهوم السيادة، حيث أصبحت السياسات والممارسات ذات الطابع المحلي البحت لبعض الأجهزة والوزارات تجد أحياناً لها أصداء خارجية قد تنعكس سلباً على مصالح الدولة مما يستوجب تنبه المسؤولين في هذه الأجهزة الحكومية لهذا الانكشاف وجعل هذه الحساسية التي تحيط بالمصالح الوطنية حاضرة في أذهانهم دائماً قبل اتخاذ أي قرار أو تبني أي سياسة ولا شك أن المجلس سيساهم في تحقيق ذلك.

ورغم أن مجلس الأمن الوطني قد أنشئ في نهاية السبعينات ونجح في القيام بالمهام الموكلة، إلا أن ما توافر للمملكة من ظروف ومعطيات إيجابية في الداخل والخارج قلل الحاجة إلى ترقيته إلى المستوى الاستراتيجي الذي يتمتع به اليوم.

فعلى المستوى الدولي أعطت الحرب الباردة وحالة الانقسام الحادة التي شهدها العالم أهمية استراتيجية للمملكة من خلال توظيف إمكاناتها للدخول في علاقات استراتيجية مع الولايات المتحدة لمواجهة الاخطار التي كانت تهدد الوضع القائم في المنطقة. وحتى نهاية الحرب الباردة تمتعت المملكة - نتيجة حسن استغلالها لتلك الظروف الدولية - بمكانة استراتيجية مكنتها من الحفاظ على مصالحها في وجه الكثير من التحديات والتحولات التي شهدتها المنطقة، كما أن حالة الانقسام الدولي قد ساعدت في وضوح توجهات ومواقف الدول من القضايا السياسية والأمنية مما سهل على المسؤولين هنا من التعامل معها ورسم السياسة تجاهها استناداً إلى الحكمة والخبرة التاريخية والدبلوماسية وكان للعامل الشخصي أثره الإيجابي المهم.

أما اليوم فإن الموقف الدولي يمر بتغيرات كبيرة وتشهد العلاقات الدولية حالة «ميوعة»، حيث اختلطت خارطة الأعداء والأصدقاء وسادت حالة غموض في اتجاهات الدول ومواقفها وأصبحت قراءة الأحداث الإقليمية والدولية ومن ثم تحديد التحرك المناسب تجاهها مسألة صعبة لا تكتفي بمجرد الخبرة والعامل الشخصي، بل أصبحت المعلومة ومعالجتها بالطريقة المناسبة وكذلك المتابعة المستمرة لما يجري على الساحة الدولية ودراسة وتحليل الأحداث مطلباً ضرورياً للقراءة الناجحة. كما حدث نوع من التراجع النسبي في المكانة الاستراتيجية للمملكة التي تحققت لها خلال مرحلة الحرب الباردة مما يستوجب مضاعفة الجهود وتعبئة كافة الموارد لمعالجة ما قد يحدث نتيجة هذا التراجع ويضر بالمصالح الوطنية.

أما في الداخل وخلال أكثر من ثلاثة عقود ساهمت المداخيل النفطية الضخمة وتوظيفها في برامج تنموية شاملة في تعزيز الاستقرار السياسي وأضافت مصدراً مهماً للشرعية والدعم بالإضافة إلى المصدر التاريخي.

واليوم تشهد الساحة المحلية تحولات مهمة تتطلب ادراكاً وتعاملاً استراتيجياً، فبالرغم من الفائض النفطي الراهن إلا أن الظروف الاقتصادية وزيادة أعباء الانفاق قد قلصت من قدرات الدولة المالية التي لم تعد كافية كآلية للحفاظ على حالة الاستقرار والرضا الشعبي، وأصبح هناك حاجة إلى البحث عن آليات جديدة لتحقيق ذلك وهو ما يتطلب تفكيراً استراتيجياً سيتم صناعته من خلال المجلس.

وبالنسبة لأبرز التحديات الخارجية والداخلية التي تواجه المملكة وستكون في سلم أولويات مجلس الأمن الوطني فهي: (أ) الوضع في العراق وانفتاحه على الكثير من الاحتمالات. (ب) مشكلة التسلح النووي الإيراني وما قد ينتج عنها من مخاطر في حال تصعيدها سواء من إيران أو الولايات المتحدة. (ج) الاتهامات التي تثار من وقت لآخر بسعي المملكة لامتلاك السلاح النووي (وهي تهمة غريبة لا تستقيم مع النسق العقائدي لصناع القرار في المملكة الذي من أبرز سماته الرئيسة نهج الاحتواء وتجنب التصعيد). أما على المستوى الداخلي فيأتي في مقدمة القضايا التي تتطلب معالجة استراتيجية: (١) الإرهاب الذي نجحنا نسبياً في تفكيك قواعده المادية المباشرة وتبقى جذوره الفكرية والثقافية والاجتماعية والمعيشية، (٢) حالة البطالة وما قد يكون لها من آثار سياسية في حال استمرارها، (٣) قضية الإصلاح التي تعزز الاستقرار وتعيد الحيوية للحياة العامة وتعالج مسألة أصبحت تثار بشكل مطرد هذه الأيام وتتمثل في تعزيز وتنمية الوحدة الوطنية المؤسسة على مفهوم التنوع والتعدد الإيجابي، (٤) قضية استمرار النفط المصدر الأول للدخل خاصة في ظل نمو المصادر والبدائل الجديدة. كذلك الجدل بشأن بلوغ حقول النفط الكبرى في المملكة ذروتها. يضاف إلى هذه القضايا تحد استراتيجي له أبعاده الخارجية والداخلية ويتمثل في الضغوط الواردة من البيئة الدولية حول الترتيبات الاجتماعية والسياسية الداخلية.

إذاً مجلس الأمن الوطني سيجد أمامه عدداً من الملفات المهمة التي تتطلب تقديم رؤى استراتيجية تساعد صانع القرار على مواجهة التحديات بما يحافظ على المصالح الوطنية ويقويها. إن ما يؤكد حرص القيادة على أن يلعب المجلس دوراً استراتيجياً اختيارها لسمو الأمير بندر أميناً عاماً له وهو المعروف بخبرته الطويلة في الشأن السياسي الدولي هذه الخبرة التي ستتلاقح مع ما سيقدمه أعضاء المجلس من تجربة ثرية ومميزة خاصة بالنسبة للتعامل مع الأوضاع الداخلية والتي قد يكون العمل الدبلوماسي قد شغل سموه عنها. وأخيراً أتمنى أن يمنح نظام المجلس للأمين العام فرصة اللقاء الدوري وحبذا لو كان أسبوعياً مع خادم الحرمين الشريفين ليطلعه على أهم القضايا والتطورات ذات الصلة بالمصالح الوطنية العليا ويقدم له الرؤى الاستراتيجية بشأنها.

❖ أستاذ العلوم السياسية

اللقاءات الوطنية للحوار الفكري ضرورة أمنية للوطن

عبدالإله بن عبدالله العريني

■ في منتصف ذي القعدة المقبل - إن شاء الله تعالى - يعقد اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري بمدينة أبها تحت عنوان «نحن والآخر.. رؤية وطنية مشتركة للتعامل مع الثقافات العالمية»، وذلك ضمن الجهود المثمرة التي ينهض بها مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني وأمينه العام معالي الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر، بدعم من القيادة الحكيمة والرشيدة لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - الذي أسس لانطلاقة المركز بغية نشر قيم الحوار وثقافته وتعزيز قيم المواطنة وتعضيد مكانة الإنسان السعودي ودفعه صوب قراءة قضايا الوطن سعياً لتطويره ورخائه.

أول ما يلفت الانتباه أن هذه اللقاءات الوطنية للحوار الفكري قد أفرزت حراكاً مجتمعياً على مختلف الصعد، وأصبح الحديث عنها فاكهة المجالس والمنتديات بدءاً بالشباب ومروراً بالرجال والنساء وانتهاء بالحكماء من الشيوخ والعلماء والمثقفين وأولياء الأمور.

وبتنا نرى ترسيخاً جاداً لثقافة الحوار ونشراً متسعاً لقيم التسامح والاختلاف الإيجابي عبر مناقشة قضايانا الوطنية المختلفة، لا سيما في الجولات الحوارية التي تتخذ شكل ورش عمل تناقش محاور اللقاءات الفكرية وتتداول الرأي والنصح فيما يتعلق بالوطن والمواطنين، وقضايا الشباب والإصلاح السياسي والاقتصادي والمجتمعي والعلاقة مع الآخر وقضايا المرأة وحقوق الإنسان والمجتمع المدني، فضلاً عن الهجمة الإعلامية الشرسة التي تواجهها المملكة العربية السعودية قيادة وشعباً من قبل الصحافة الغربية المغرضة والهجمة الإرهابية من قبل الفئة الضالة التي اندحرت.. كل هذه القضايا والنقاشات أثمرت نتائج إيجابية كثيرة أهمها تمثلت في الآتي:

١ - تعزيز الانتماء الوطني ونشر ثقافة الحوار بين فئات المجتمع، وهو ما تجسد في الشعور الوطني الفياض أمام التحديات التي تواجهها المملكة.

٢ - إفساح المجال لحريات واسعة في التعبير عن الرأي وكفالة حرية الرأي والرأي الآخر، وتعزيز حرية الصحافة والإبداع بما يكفل تنشيط الحركة الثقافية وتطويرها.

٣ - تأهيل المواطن سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً مع بداية الانفتاح وطرح الشفافية.

٤ - تدعيم الحس الأمني عند المواطنين وتوعيتهم بمسائل الانحراف الفكري والإرهاب وخطورته على مستقبل الوطن والدين، فالأنظمة التي تسير عليها الحكومة في العمل مستمدة من الشريعة الإسلامية السمحة، وهذه الشريعة هي التي تربط بين الحاكم والمحكوم في عقد اجتماعي، وهي التي تؤدي إلى الانتماء الوطني الذي يؤدي بدوره إلى الشعور بالوحدة الوطنية تحت راية الإسلام والتوحيد واللباس الوطني والنشيد الوطني والتربية الوطنية.

٥ - تأطير الصلة بين المجتمع والدولة من جانب، وبين أفراد ومؤسسات المجتمع من جانب آخر.

٦ - المساهمة في تحديد المفاهيم السليمة للمصطلحات ذات الصلة بالعلاقة مع الآخر مثل: الجهاد، والولاء، والبراء، والتكفير، والوعي الشرعي بحقوق الآخرين المحفوظة في الشريعة الإسلامية وتثقيف أفراد المجتمع بها، والتركيز على البُعد الإنساني في التعامل مع الآخر، والتواصل معه من خلال ترسيخ ثقافة معرفة الآخر وثقافة الاختلاف، وثقافة الحوار عبر قنوات التعليم والإعلام، وكذلك تبادل الأفكار والآراء حول إعادة صياغة خطابنا وفقاً لمعرفة وإدراك هذه الثقافات، والعناية بالنتاج الفكري، في أدب وفن الحوار، وتوجيه المؤسسات ودور النشر إلى إعداد دراسات متخصصة وسلاسل علمية تناسب جميع ألوان الطيف المجتمعي ومستوياته التعليمية.

٧ - تحسين المهارات الشخصية والاتصال لدى النشء، وتدعيم دور الأخلاق في الحوار والتعامل مع الآخر.

بداية منطلقة ومسيرة مظفرة:

لعل ما يدعو إلى التفاؤل بمستقبل هذه التجربة الإصلاحية الواعدة هو أن أولياء الأمر في المملكة يقودون مشروع الإصلاح باقتناع وإيمان كبيرين بضرورة أن يكون الإصلاح شاملاً وأن تنعكس آثاره الإيجابية على كافة المواطنين ليحصدوا ثماره المختلفة في تحسين مستوى معيشتهم وتطوير نوعية الحياة التي يعيشونها في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وقد كانت استجابة حكومة خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين للمطالب الإصلاحية التي قدمت من قبل عدد من المثقفين والإصلاحيين استجابة سريعة ومحمودة، إذ حدد لهم موعد اللقاء، ثم أعلن عن بدء الحوار الوطني في شهر ربيع الثاني ١٤٢٤هـ وصدر قرار بتسمية مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، وتعيين أمين عام له، وذلك بعد أن عقد المؤتمر الأول للحوار الوطني الذي تميز بالصراحة والحرية في طرح الأراء مع سعة دائرة القضايا والموضوعات وغلبة أطروحات التيار الإسلامي المعتدل وقوة أفكاره.

وتسلم مركز الملك عبدالعزيز راية اللقاءات الحوارية فيما بعد، ابتداء من اللقاء الثاني الذي عقد في مكة المكرمة تحت عنوان «الغلو والتطرف»، وشهد اتساع دائرة المشاركين فيه والتي شملت عشر نسوة، واستكتاب عدد كبير من الباحثين.

ثم توالت اللقاءات الفكرية والحوارية، فعقد اللقاء الثالث، وتبعه اللقاء الرابع المهم والذي ناقش مشكلات الشباب تحت عنوان «قضايا الشباب: الواقع والتطلعات»، وقام المركز بالتنسيق والإشراف على الجولات الحوارية التي سبقت اللقاءات الأساسية، واتخذت شكل ورش عمل تمتعت بحيوية وحرية في مناقشة جوانب القضايا المتعلقة بالحوار، وتحديد محاور النقاش.

وعموماً فإن مبدأ الحوار في حد ذاته ليس عيباً، ولا يدل على ضعف ولكن نتيجة الحوار هي التي تحدد أهميته من عدمها.. والمسلمون تحاوروا قديماً مع أصحاب الطوائف والديانات الأخرى ولم ينقص هذا من مكانتهم. ومع أن اللقاءات الحوارية قد تباينت حولها ردود الفعل بين رافض لها جملة وتفصيلاً، وبين مقتنص لها وقد رأى فيها فرصة ثمينة لا تفوت لمهاجمة أشخاص أو أفكار وكأنه في معرض تصفية حسابات قديمة، وثالث يفصل فيها قليلاً، ورابع التبس عليه الأمر، إلا أنه في النهاية تبقى للحوار قيمته في تنفيس الاحتقان وإسكات المتربص وتعديل موازين القوى المؤثرة سعياً لنهضة المجتمع ونشر الوعي الفكري والسياسي والديني، وتحقيق السلام الداخلي بين الطوائف والجماعات. لقد أظهرت وقائع الحروب والمنازعات المدمرة أن التصادم داخل الجماعة البشرية الواحدة كان أشد ضراوة وفتكاً من تصادم الجماعات البشرية المختلفة، وما يجري من قتل وفظاعات وتدمير أعمى في بعض الدول - كما وقع في الجزائر وأفغانستان والقرن الأفريقي - يؤكد هذه الحقيقة، ويجعلنا نجزم بأن ضحايا الحروب الأهلية والاقتتال الداخلي أكثر ألماً وفظاعة وتدميراً من كل الحروب الخارجية التي خاضتها البلدان العربية والإسلامية. ويكفي أن تشير إلى أن الصراع مع إسرائيل كلف في العقود الستة الماضية حوالي ٢٠٠ ألف من الضحايا، وأن الصراعات الأهلية والحروب الداخلية بين البلدان العربية والإسلامية كلفت ٢٫٥ مليون ضحية، ومن حيث التكلفة المالية فإن الصراع الأول كلف الدول العربية ٣٠٠ بليون دولار، أما باقي الصراعات فبلغت تكاليفها حوالي ١٫٢ تريليون دولار، وهكذا نجد أن ٨٠٪ من الحروب والصراعات والنزاعات تقع تحت عنوان الحروب الداخلية التي تتنازع فيها القوى المختلفة حول السلطة والنفوذ.

من هنا تأتي أهمية الحوار بين ألوان الطيف المجتمعي، ذلك الحوار الذي يمثل ضرورة أمنية لابد منها حتى ينشر السلام جناحيه على المجتمع، ويتفيأ بظلاله الكبير والصغير، فكفانا هجير الحياة ونوازع الشر عند الأعداء.

إننا لا نعدو الصواب حين القول إن السبب الرئيس في بوار العديد من مشروعات التنمية والتأخر الحضاري وشيوع قيم الاستهلاك يرجع بالدرجة الأولى إلى غياب الحوار وحرية التعبير عن الرأي. وتجربة الحوار بين الأفكار هي التي تعطي لمضمون الحرية أبعاداً تاريخية وآفاقاً مستقبلية.. والحوار ليس من أجل إلغاء الخصم أو ثنيه عن أفكاره وقناعاته، وإنما من أجل الحرية وأفقها الإنساني والحضاري، والحرية لا تعني بأي شكل من الأشكال تجميد الاختلافات الفكرية والسياسية، وإنما تنظيمها وجعلها تسير في اتجاه توافقي بنائي، وهو ما تقوم به الآن حكومة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله من تسيير المشروعات الإصلاحية في مسارات متوازنة ومتضامنة تعمل على خلق البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المواتية لمجتمع متقدم مزدهر ينعم بالحرية والعدل والمساواة والأمان من خلال المشاركة الحوارية الفكرية والسياسية في صنع القرار والإيمان بالخيار الشورى (الديمقراطي) سبيلاً لصياغة المستقبل المنشود.

هي أشياء لاتشترى

د. علي بن عبدالله الزبن

■ تخيل نفسك على غير الهيئة الكاملة التي متعك الله بها الآن، لاتملك قدماً تغدو بها وتروح في دورب الارض باحثاً عن رزق حلال، ولا تستطيع ان تنتقل من مكان لمكان الا بواسطة، واثقال على من حولك؟! وكيف بك ان حرمت متعة النظر للحياة بنور عينيك، فلا تراها الا وصفاً وكيف بك ان حرمت نعمة الاستماع، فأنت معزول في نفسك لاتفقه ما يدور حولك لأنك لا تسمعه؟! وكيف بك اذا كنت فاقد العقل، غير مميز بين ما ينفعك ويضرك، وما يغضبك ويسرك؟! كيف تحب ان يكون تعامل الناس معك، وكيف تريد ان يكون شعورهم نحوك؟!! اما وانت متمتع بكل حواسك والحمد لله فهذا من نعم الله عليك، ونعم الله لابد لها من شكر، لابد ان تقول: الحمد لله الذي عافني مما ابتلى به كثيراً من خلقه، ولكن ليس هذا كل شيء فلابد من شكر عملي بعد شكرك القولي، وهو مساعدة من ابتلاه الله بمثل تلك الاعاقات، وان لم تفعل فأنت معوق، نعم معوق باعاقة خطيرة اخطر مما ذكرنا من انواع الاعاقات، لأنك معوق الفؤاد، متعطل الاحساس والتعقل في نعم الله عليك: ﴿وجعلنا لهم سمعاً وابصاراً وأفئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بأيات الله﴾. وانت اذ تساهم ببعض مالك الذي اعطاك الله، فأنت تحفظ النعم التي اعطاك الله ايضاً: ﴿وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون﴾. فهو منك واليك، تحفظ نعمة الله عليك، هل تستطيع ان تشتري اياً من تلك النعم بكنوز الارض؟! هي اشياء لاتشترى. وفي حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - من طريق ابي هريرة انه قال: «ما من يوم يصبح فيه العبد، الا ملكان ينزلان، فيقول احدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً، والاحاديث التي تحث على الانفاق كثيرة وكلها تؤكد عظمة هذه الطاعة ويكفي انها تطفئ غضب الرب، وهي من صنائع المعروف التي تقي مصارع السوء، ولاتحقرن من المعروف قليله، فكما قال الامام علي رضي الله عنه: «لا تمنع القليل فإن الحرمان اقل منه، والقليل بجانب القليل كثير ومؤثر، ومشجع للآخرين على المشاركة.

وفي العام الماضي كان لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان لقاء طلابي في رحاب جامعة الامام محمد بن سعود، قال فيه: لو تنازل كل فرد عن ثمن وجبة واحدة من البتزا، لجمع مبلغاً كبيراً، يقضي اموراً عدة للمعوقين، وكانت لفتة جميلة حينما ابدى رؤية سهلة التطبيق، وعميقة التأثير في أن واحد، ويا له من تقليد لو عملناه في كثير من سلوكياتنا لحصل للمجتمع خير عميم. وان كان الله يقبل النفقة في كل الايام فإنها تكون اكثر قبولاً في بعض المواسم ومن هذه المواسم شهر رمضان المبارك الذي يضاعف فيه الاجر، ولايخفى على العيون الدعم الذي تقدمه الحكومة للمعوقين، ولكنه غير كاف وحده فلا بد من مؤازرة اهلية، حتى يحس هؤلاء المعوقين بأن المجتمع يقوم بدوره تجاههم على اكمل وجه، وانهم جزء منه يهتم به ويبحث له عن حقوقه، التي كفلها له الإسلام، وفق الله العاملين على راحة المعوقين.